علب الكرتون

قصة

بقلم صافي الراهب

عندما زفرت العاصفة باولى صيحاتها ، نظر افراد العشيرة بعضهم الى بعض . أحدهم اقترح اغلاق المدخل وشد الحبال جيدا . وقال آخرون : الحذر لا ينجي من القدر ، الحبال قوية والاوتاد مكينة ونحن معتادون على شراسة الطبيعة .

وطامنهم هبوب الريح الغربية . لقد جاءت من الغرب وخيمتهم مغلقة دونها . مدخل الخيمة شرقي ، مشرع لاشعة الشمس الاولى والافق البعيد . وماذا لو تهب الريح مئة عام ، ما دامت جدران الخيمة مصنوعة من جلود الماعز القوية ومشبوكة بخيطان القنب ؟

وصاحوا صيحة رجل واحد : ـ العاصفة ؟ لا شيء . عندما نقتنع بجدیتها سنواجهها بصدور عارية . ماذا تكون عاصفة بالنسبة لنا ؟ نحن عشيرة التمانعة .

وأضاف آخرون : ـ خيمتنا واسعة واسعة . أوسع من ان تهزها الريح . جبل حقيقي .

واقترحوا : ـ يحسن بنا ان نشعل القناديل فقد اقبل المساء، وهواء العاصفة يتسلل من تحت الجدران .

ثم انتشروا في ارجاء الخيمة الفسيحة . كثيرون منهم استانفوا اصلاح محاريثهم ، نجروا الخشب الناشز او احكموا ربط الحبال او طرقوا الحديد والسكك الصدئة . بعضهم اعاد ترتيب صفائح الكرتون بطريقة افضل ، وآخرون رتبوا حزم العفص والدلب . اما النساء فانصرفن الى ايكاء القدور ونفخ النار ، في وقت واحد مع اوضاع الاطفال وجمع الثياب المتسخة .

وفي المساء جلسوا على المقاعد والابسطة في ساحة الخيمة . صفان طويلان بينهما زقاق . وراء الصفين تحلقوا في جماعات صغيرة حول الكوانين وراحوا يستدفئون بجمرها المشع . ردوا على هبوب الريح بوجوه قريرة باسمة وأياد ممدودة فوق حطب الغابات المتقد . صبوا زمجرتها داخل اباريق الشاي المطهورة في رماد الحطب . بينهم سرت همهمة ولفط . وتميز من بين الاصوات قرقرات النراجيل ورشف الشاي الساخن .

وأطل ابو درويش : شاربان كثان معقوفان . فم متكرمش . جمجمة اختفت تحت طربوش مائل متكيء على الصدغ الايسر . جسد اختفت حقيقة كميته او تضاعفت تحت اطواق الملابس: قميصان صوفيان ،صديري ذو تخاريج ، سترة عجوز ، وشروال باثنتين وعشرين طية من الامام ومثلها من الخلف . خف احمر بنعل من الكاوتشوك . واخيرا عصا معقوفة المقبض .

تقدم خطوتين . تفقد الحاضرين بنظرة طويلة متنقلة . طوى سبابته ومسح على نهاية شاربيه . أحس بالعيون والكلمات تنصب عليه بالمنسوب الذي اعتاد ان يرتاح له . عندئذ رفع عصاه واطلقها لتدور الى جانبه ، وراح يدير معصمه معها برشاقة النوابض .

بدأ الدوران يفعل فعله . تخافتت الاصوات . استقرت العيون على ابي درويش . ازداد الناس تحلقا حول المجامر . عادت الالسن الى جحورها . أصوات ثلاثة فقط بقيت وصارت اكثر وضوحا : قرقرة الماء في النراجيل والاباريق ورشف الشاي .

تقدم ابو درويش وعصاه تدور . بلغ طرف الزقاق وعاد . في منتصفه توقف . اركز عصاه في التراب الصلب ومد ذراعه عليها . اطرق وتهزهزت ذؤابة طربوشه قليلا ثم تدلت الى الامام :

.. يا سادة يا كرام ، بعد الصلاة والسلام على خير الانام . فلما فرغ النعسان من هذا المقال وسمعه (عكرمة) مفتاح حرب بني هلال ، تنهد من قلب مجروح وصمم ان يحفظ السر فلا يبوح . واشار له ان دونك القتال وانشد وقال :

يقول الفتى عكرمة من قلبه همام ... بدمع جرى فوق الخدود سجام

أيا نعسان لا أعطيك سري ... وفي سيفي ترى الموت الزؤام

كلمتنا شرف والموت هين ... وخلفي مية الف من الانام

والتقى البطلين كانهم جبلين وحان عليهم الحين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين ..

فجأة اندفع طربوش ابي درويش بعيدا عن رأسه . لكأن يدا سحرية حملته من الداخل وطارت به . ووقف الرجل نصف مصعوق، ملتصق النظرة بطربوشه المبتعد . أحس انه عار تماما ، فمد يده نحو الطربوش عاجزا عن الكلام .

تعبات الوجوه بالمفاجأة . استيقظت من حلم سادر رخي على حادث كالحلم فعادت الى ذهولها مرة اخرى .

وصاح بعض الرجال : العاصفة ـ العاصفة ـ

وهبوا من امكنتهم مذعورين .

وصاح آخرون : ـ انثقب الجدار . العاصفة خرقت الجلود .

وفروا من مكانهم على غير هدى . خلال لحظات اختلط القوم . هرعوا باتجاه الخرق فامحى الزقاق الموقت . استطاع الجميع ان يروا الخرق الواسع المذهل في جدار الخيمة وتجمهروا حوله . لم يصدر عنهم سوى الدهشة ، والتدافر لاجل مكان أقرب . ولسع وجوههم برد الرياح .

رجل واحد فقط شق طريقا معاكسا : ابو درويش الذي سقطت عصاه ايضا ووضع يده على رأسه دون ان يعي .

استدراك

نعتذر للقراء لوقوع خطأ في رقمي الصفحتين ٣٥ و ٣٧ من هذه القصة . فيجب قراءة الصفحة ٣٧ بدلا من ٣٥ وبالعكس .

بانتهاء الحريق انتهى الليل والصباح . وصعدت الشمس التي لم يروها الى مرتفعات السماء . انتهى ساكنو الخيمة الى العصبية وقلة النوم . رؤساء العشيرة قرروا ان الامر خطير ، وانه ما لم تكف العاصفة عن هبوبها فسيكون لكل حادث حديث . وعقدوا اجتماعا في مكان قريب من تلة الرمل والصوان . أبناء العشيرة قبعوا في اماكنهم ينتظرون . شيء من القلق والثقة مازج نظراتهم للمتكلمين والمشيرين بايديهم .قرأوا في وجوههم الجلال العريق وذكريات العواصف الماضية. خاطر صغير من الالم عبر بهم فذكرهم بالماضي : أيام اربعةالابواب المشرعة للشمس والافق ، والاطفال يملأونها صخبا وضجيجا . ثم هبت عليهم العواصف فأغلقوا الابواب الا واحدا . اقنعوا انفسهم بصواب عملهم . صارت الابواب الثلاثة جزءا من الجدران ورأوا في ذلك عين الحكمة . انشأوا نظاما لحرس الليل ومع ذلك اعتادوا على الاستيقاظ بسبب من حوادث القتل والسرقة والاختطاف . والان تجيئهم هذه العاصفة على نحو لم يعرفوه من قبل فتوقظهم وتقض مضاجعهم .

فعل ما ينبغي ان يفعل والعاصفة تقرع جدران خيمتهم . واذ انتهى اجتماع الرؤساء اقبلوا اليهم بنصف امل ونصف صمت . عند ذاك تقدم حامل ورقة وشرع يقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم ،

تداول المؤتمرون في امر العاصفة التي اقلقت راحتنا وقطعت نومنا وخرقت خيمتنا . ورأوا ان هذه العاصفة الظالمة الباغية لن تخيفنا وسنظل اقوى منها بعون الله . وقد اتخذ المؤتمرون المقررات التالية :

١ ـ الصمود بوجه العاصفة .

٢ ـ الاستمرار في الاعمال والحياة اليومية مع الانتباه الى ان العاصفة تستهدف صرفنا عن ذلك .

٣ ـ القاء تلة الرمل والصوان الهزيلة في البحيرة .

٤ ـ الاستغناء عن حزم الدلب والعفص وشراء مزيد من الكرتون .

٥ ـ سد جميع المنافذ والابواب بوجه العاصفة .

والله ولي الامر والتدبير .

أصاخ القوم بانتباه . جالسين او واقفين او متمددين ، شعروا بارتياح عميق . فكروا ان بوسعهم العودة الى ندواتهم ومسراتهم اليومية مرة اخرى . ومثل بخار فتحت له الكوى تبدد قلقهم ، وصفت السماء في اعينهم والارض .

قبل ان يتفرقوا سد مدخل الخيمة جمل هائج يحمل اثقالا ... دخل وتبعته قافلة . استطاع القوم ان يتبينوا حجارة ضخمة لاتحصى. وتراجعوا مذعورين من مشهد الزبد المتكوم على الاشداق ولاذوا باخبيتهم. مع الجمال دخل عدد كبير من الشباب . وفي وسط الخيمة اناخوها وانزلوا الحجارة . كوموا قطع الصخور في وسط الساحة ونفضوا الغبار عن ثيابهم . ثلاثة منهم اقتادوا الجمال الى الخارج وربطوها باوتاد الخيمة . ونادى منهم مناد :

« يا اهل الخيمة . قررنا بناء بيت من الحجر لا تخرقه العواصف. شيوخنا يقولون لكل شيء غدا . لكننا نحن قررنا العمل فورا .هلموا واعطونا ادوات النحت والحفر . بعد زمن وجيز يرتفع بناء شامخ، لكل منكم فيه مسكن رائع . كل من يتاخر عن تقديم ادواته تصادر ويسقط حقه فيها » .

بين ذهول الناس ، استنكارهم وتعاطفهم ، شعر شيوخ العشيرة باضطراب شديد . للمرة الاولى يسمعون كلاما لا يقولونه هم .ها هي ذي الحجارة والصخور تملأساحة الخيمة ، والسكان يتلقون الاوامر من شباب يسوقون جمالا مزبدة الاشداق .

وسرعان ما تراكمت ادوات الحفر والنحت . بعض السكان تسترو على ممتلكاتهم منها ، فصودرت وجلدوا في الساحة . وتوزع الشباب الى قسمين ، نحات وحفار . وبدأوا العمل . كل نحات تسلم صخرة وشرع يشذبها . وذهب الحفارون الى حدود الخيمة ليشقوا الخيمة بنثار الصخور ومقتطعاتها . وحدد الغبار معالم الساحة بلونه الابيض . تراكم التراب المحفور في خط متعرج ووقف بارتفاعه ما بين الاخبية والحفارين . تعين على القوم ان يقبعوا في اخبيتهم أو ان يعبروا بينها طريقا متلويا خلفيا كيما يمارسوا اعمالهم . هذا الضحى وجدوا انفسهم متعبين فلم يخرجوا للعمل . لقد حرمتهم الجريمة والعاصفة من النوم . ما زال الخروج خطرا . وليس نهار من الراحة بكثير على اشقياء مكتدحين .

لكن نسيما قويا من العاصفة التي لم تهدأ ، جعل يهز أخبيتهم ويتسلل ببرده القارس اليهم . أتعبتهم أيضا محاولة النوم. حتى الاغطية الاضافية لم تمنع تسلل الهواء . تساءلوا في انفسهم من أين يأتي البرد . وبعد لاي فكروا بالاساسات المحفورة . على نحو ما ادركوا مصدر النسيم القارس ، ولاذوا باغطيتهم .

لانهم تعبوا فوق ما اعتادوا من التعب ، ناموا . ولانهم ناموا متعبين أثقل عليهم النوم . أثقلت عليهم المطارق والفؤوس وغبار الحجارة ، أحلام المبنى الجديد والمساكن الصحية ، وامنية واحدة ملحة: ان تهدأ العاصفة .

آنذاك بدأت الصخور تتخذ اشكالا هندسية منسقة ، وترسل الى الاساسات . وبدأت امكنة من الاساسات تمتلىء بالقطع الصخرية الضخمة . لاول وهلة بدا كل شيء في فوضى . لقد أنزلت الحجارة الى الحفر ووضع فوقها مزيد منها . ويتوقف العمل حينا او يضطرب بسبب شجار ينشب فجأة بين وجهات النظر . اسمنت ام بدون اسمنت؟ ومن أين ؟ وهذا الترتيب للحجارة ،هل هو الترتيب الصحيح ؟ هل اشكالها مناسبة ؟ الغالب من بين المختصمين يهرع الى الحجارة فيزيحها ويدور بها حتى يتراءى له الوضع الامثل فيطبطب عليها ويعود الى العمل .

بعيد الظهر ، ولما يستيقظوا او يتناولوا الغداء ، احدثت العاصفة خرقا ثانيا . انثقب جدار الخيمة في مكان آخر . وانقذفت رقعة الكرتون بعنف وطارت في فضاء الخيمة ثم سقطت على احدى الصخور. خيوط القنب التي ربطتها بالجدار تقطعت . الرقعة نفسها انشرخت في مواضع الخياطة . كلا الخرفين فتحا على ساكني الاخبية سيلين من الرمل وقطع الصوان . وزمجر هزيم العاصفة في رحاب الخيمة . أيقظ النائمين . لسع الوجوه ضربت حجارته الرقاب فقتلت وجرحت . انصب على النحاتين والحفارين وعزلهم بعضهم عن بعض. ملأ اعينهم وثيابهم . اضطرهم الى التراجع او التفرج المغلول او الصيحات اليائسة . من بعيد برز الشيوخ من اخبيتهم بنصف ابتسامة ونصف وجوم . تلفت الاهلون . مرة اخرى طفا على عقولهم السؤال ما العمل ؟

ـ الكرتون . الكرتون .

وهرع الشباب الى المخزن . استلوا رقع الكرتون وقفلوا مهرولين. تجمهروا حول الخرقين ، وقد تمالكوا روعهم . هذه المرة احضروا معهم بزالات وعزقات وثقابات . جماعة منهم قفزت الى الخارج دارت حول الخيمة وواجهت الخرقين .

بدأ العمل . ثقبت رقعتا الكرتون الجديدتان بعناية ، وكذلك ثقب الجدار الجلدي . من الخارج اولجت البزالات لتجمع الجلد والرقعة. ومن الداخل دارت العزقات حول الاجسام اللولبية وشدت الكرتون الى الجدار . وبدأت المطارق عملها فتفلطحت نهايات الحديد . وايقن الشباب انه ما من قوة تخرج العزقة عن بزالها .

اذ ذاك اطلقوا تنهدة ارتياح . ابتسموا ووحوحوا وفركوا راحاتهم . رآهم الاهلون فاسترخت خلاياهم المشدودة . كانهم افاقوا من ذهول نفضوا الرمل عن ثيابهم . التقطوا جرحاهم . ثمة جرحى وقتيلان . الدم وشم على الارض والحجارة والستائر الرمل والصوان توغلا في عمق الخيمة . انتشرا هنا وهناك ،حول جميع الاخبية التي

ببطء وحذر حول محارسهم . كل منهم ألقى نظرة غامضة نحو رقعة الكرتون التي صارت جزءا من جدار الخيمة . رغم صلابتها تهزهزت مع الجدار الجلدي بفعل الريح العاتية . وخمنوا الان ان الريح لم تعد تحمل الرمل والصوان ، فقد تلاشى صوت تنقيرهما على الجدار . وظلوا بين الحين والحين يرمقون الجدار الغربي بالنظرة الغامضة نفسها .

في منتصف الليل نامت العشيرة ، حرسا ومحروسين . عندذلك برز من أحد الاخبية زول . اتجه نحو مصطبة صغيرة وتربع عليها فاتحا على ركبتيه كتابا . تناول من جيبه مسبحة . أشعل فانوسا صغيرا أنار وجهه الهرم وعمامته وشيئا من قفطانه الواسع . وبدا انه استغرق في القراءة اذ راح يترنح للامام والخلف ترنحات قصيرة بطيئة .

تبعه آخرون ، كل اتجه الى مصطبة . تربع . تناول مسبحة . أشعل فانوسا صغيرا . فتح كتابا ، وجعل يترنح، وشيئا فشيئا بدأت رائحة بخور خفيفة تنتشر في المكان . وسرت من مجموع اصوات القارئين همهمة حرص اصحابها على خفوتها وهدوئها .

فتاة تدثرت بدثار طويل ، خرجت من اقصى الشمال . تلفتت وراءها بلهفة ثم جلست عند حافة الستارة . للحال تبعتها امرأة تتوكأ على عصا ، وتهدلت على الارض . تناولت يدها المفتوحة وقربتها من فانوس صغير ، وصبت عليها نظرة فاحصة .

شاب مرق من خلف ستارته يحث الخطى باتجاه خباء آخر .عند العتبة تردد قليلا وحك ارنبة انفه . بدا يرمي خفه وثيابه على انتظار . انزاحت الستارة قليلا فدخل حاملا أشياءه بحرص .

كهل قصير القامة اخرج رأسه متلصصا ووثب فدار حول خبائه . امام اصابعه لمع نصل مدية رهيف . واستلقى لينام .

امرأة برزت من الشرق تحمل على كتفها جرة فخارية . في خطوها تصلب الخائف واصرار المغامر المجول . عند السبيل انزلت جرتها،ومن ورائها تقدم شاب جاء عفو اللحظة فساعدها .انحنى الاثنان فوق ماء السبيل المتدفق ، وخيل انهما صامتان . ثم ذهبا معا الى الخباء الاقرب .

عدد كبير من الشباب انطلق باتجاه المدخل وغادر الخيمة .

رجل اقترب متسرقا من خباء الرجل الكهل . ازداد اقترابا وتيقن من امر ما . دار نحو المدخل . رد طرف الستارة بتؤدة . انسل الى الداخل خفيفا مسرعا .

وبدت الخيمة مثل كهف مسحور . هنا وهناك فوانيس ترسل ضوءا خافتا فقط لتعلن عن نفسها . بتناثرها بدت الخيمة كسماء تغط في الكون الصامت . هدوء جامح يمسح عليها باصابع خفية . سكينة موقوتة تتغلغل في سديمها الذي لا شكل له .ولا صوت لا نامة. ليلة كجميع الليالي ، سوى عويل الريح في الخارج . ليلة نوم واحلام ، وراحت من عناء النهار .

فجاة مزقت السكون صرخة وحشية مرعبة . صرخة انسان طعين . وللتو أعقبتها صرخة مماثلة . خلال ثوان انشقت سكينة الخيمة عن نهر من الصراخ الوحشي . وفجاة تلاشى . اربع دقائق او خمس دقائق او خمس وفجاة تلاشى .

اقبل أهل العشيرة وسدوا مدخل الخباء . دخل منهم سبعة او ثمانية ومكث الآخرون يتبادلون احاديث هادئة . اقبل الحرس .اثنان منهم دخلا ووقف الباقون مع الواقفين . انقطع الحديث، وافسح الواقفون مكانا عند المدخل . خرج الرجال يحملون جثتين عاريتين لرجل وامرأة . تبعهم الحارسان ممسكين بالرجل الكهل ، ويد احدهما تحمل المدية .

ـ ادفنوهما في المقبرة .

ـ غدا ، افضل .

ـ كل شيء : غدا ؟

ـ غدا ، افضل .. خذوا الرجل الى النظارة .غدا نحاكمه .

ـ انا معترف بالقتل . ادعيت حب النوم خارج خبائي لاضبطهما بالجرم المشهود . وهذا ما حدث . قتلت لاجل الشرف.

ـ مبرراتك واضحة . خذوا الرجل الى النظارة . غدا ننظر بامره.

ومثلما حضروا غابوا . عاد كل منهم الى خبائه ورد الستارة وراءه وعادت الريح الى اعوالها . اقبل الحرس وحملوا الجثتين . الى يمين المدخل العام ألقوا بهما وعادوا الى محارسهم . هذه المرة استيقظوا أخذوا يدورون في مرابع الخيمة بخطى وئيدة أثقلها النعاس . بعضهم مر امام المصاطب ، وبعضهم تجول بين الاخبية .

لم يطل بهم الوقت قبل ان تقرع الاجراس ويصيح مؤذن العشيرة « الله اكبر » لينتهي بـ « الصلاة خير من النوم » . أثناء الآذان اقترب احدهم من رقعة الكرتون وتلمسها . وبداانه فوجيء بأمر ما فأخذ ينشم ويصيخ السمع مقطبا . ازدادت نشماته عددا وقوة ، واقترب فالصق صدغه بالرقعة . ثم اندفع نحو وسط الخيمة :

ـ النار ـ النار ..

وسرعان ما تجمهر حوله الحراس .

ـ نار ..نار ..

ـ اية نار ؟ ما هذا الخرف ؟.

ـ نار . نار . الحطب يحترق . العفص والدلب يحترق .

وبهت السامعون . تلفتوا بعضهم نحو بعض بارتياب وخوف .

ـ النار . النار . يا قوم . النار في الحطب .

مرة أخرى خرج الناس . التفوا حوله يستوضحونه ، فيما مد ذراعه نحو الرقعة . باقتضاب واضطراب أوضح لهم أن العاصفة أشعلت النار في الحطب الخارجي، وأن الدخان يتسرب الى داخل الخيمة وقريبا تحرق النار رقعة الكرتون .

ـ ايها الابله . العاصفة تشعل نارا ؟

ـ اسكت أنت . احتكاك الاغصان اشعلها . هيا خذوا الماء لاطفائها. هيا ، هيا ، قبل ان تحترق الرقعة .

اعمال رائعة لادباء الطليعة العربية

صدرت عن

دار العودة ـ بيروت

صدرت عن دار العودة المجموعات الكاملة لشعراء المقاومة وادباء الارض المحتلة : محمود درويش ـ وسميح القاسم ـ وتوفيق زياد ـ وحنا ابو حنا ـ وتوفيق فياض ـ واميل حبيبي .

وصدرت اعمال الادباء الفلسطينيين في المهجر : غسان كنفاني ـ ومعين بسيسو ـ وعز الدين المناصرة .

وصدرت أيضا النماذج الرائعة لادباء القمة العربية : صلاح عبدالصبور ـ وعبدالوهاب البياتي ـ ومحمد الفيتوري ـ والطيب صالح ـ وسليمان العيسى ـ واحمد عبدالمعطي حجازي ـ والدكتور عزالدين اسماعيل .

يمكن الحصول على هذه المجموعات من دارالعودة ..

دار العودة ـ بيروت

شارع مار منصور ـ عمارة بنك بيروت والبلاد العربية .

تلفون : ٢٣٦٤٠٧

ـ هاتوا حزم العفص والدلب .
ـ سنخرج لنسد الخرق .
ـ هيا يا شباب .
ـ اين المسؤولون عن الكرتون ؟ هاتوا كرتونة مناسبة . سنخيط الجلود من جديد مع الكرتون . الجلود مهترئة على خطوط الخياطة .
ـ هاتوا الابر والخيطان . ليذهب بعضكم بالعفص والدلب .
ـ انتبهوا جيدا . العاصفة تحمل رملا ، وحصى صوانيا .

لكن الكرتون لم يأت في الوقت المناسب . الذين ركضوا باتجاهه تعثروا بالفوضى والزحام والحيرة . وسار حاملو الحطب طويلا قبل ان يبلغوا مدخل الخيمة . أثناء ذلك ضربت حبات الرمل الاسود العيون فاغلقتها ، والوجوه فالهبتها . وتطايرت قطع صوانية صغيرة فجرحت جبينين وثلاث آذان وعنقا . وبدا أن جرح العنق بليغ ، اذ شخب منه الدم وانسفح على الكتف والنحر .

صرخ الطبيب : ـ الي بالبن . الي بالبن .

واناخ الجريح على الارض فحشا جرحه بالبن وغطاه بقطعة قماش بيضاء ، طواها اربع طيات وربط طرفيها حول العنق .

صاح الرجال عند الخرق : « هذا جيد » . أربعة منهم سندوا رقعة الكرتون ، واثنان آخران جعلا يخيطانها . من الخارج تسلم الرجال الابرة السميكة واعادوها عبر الجلد والكرتون . غير ان قطعة الكرتون طارت من بين ايديهم . ومرة اخرى عادت العاصفة الى زمجرتها . ضربت الوجوه بقسوة وانساحت داخل الخيمة كالشيطان .

ـ النار ـ النار ـ أطارت الريح النار .
ـ قفوا باجسامكم بين الريح والنار . ماذا تفعلون ؟
ـ نار الكوانين تطير في الخيمة .
ـ أطفئوا النار .
ـ يتفرجون علينا .
ـ نموت من البرد .
ـ قفوا باجسامكم . ماذا تفعلون ؟ تنابل .
ـ أنت هو التنبل .

المتجمهرون عند الخرق هرعوا في كل اتجاه . بعضهم ملسوع الوجه بالشظايا المتطايرة ، وكلهم ملسوع الفؤاد . لاول مرة يحسون بانعدام الامان . لقد حرقتهم النار ، وهزت الريح ابدانهم ، داخل الخيمة وليس في مكان آخر . قصدوا امكنة لم تلفها ذؤابات العاصفة . جلسوا مع الجالسين هناك ولكن بعيدا عن الجمر والدفء. على كوانينهم تساقط الرمل والصوان بغزارة . بعد قليل أطفأها . وغطياها . وقبل ان يتمكن المنقذون من تثبيت رقعة الكرتون نهضت فوق الكوانين تلة سوداء انتشرت عليها قطع الصوان ببريق جارح .

رويدا رويدا عاد الهدوء . استمر العمل في رتق العفص والدلب على الجدار الغربي، وزيدت بشكل خاص فوق رقعة الكرتون .

عندما عاد حاملو الحطب ، عطس احدهم العطسة الاولى .كذلك فعل واحد ممن شبكوا الكرتون . آثار العاصفة لونت وجوههم،بعثرت شعورهم وثيابهم ، وجعلت صدورهم تعلو وتهبط . وهكذا أزيح لكل منهم مجلس قرب أحد الكوانين وقدمت لهم أكواب الشاي باحتفال . اسرع الاطباء منهم وفحصوهم ،ثم كشفوا عن اعشابهم الثمينة .وتسابق آخرون الى تدليك ظهورهم وأيديهم ، بينما انصرف فريق ثالث الى نزع الاحذية وتدليك الارجل . وملأ قلوب المنقذين والمدلكين فرح عظيم.

لم تهدأ العاصفة . لكنهم لم يخافوا . وكلما زمجرت نظروا باعجاب وثقة الى ما فعلوه . لقد استطاعوا في غمرة الذهول والمفاجأة كبح جماحها . تحدوا الرمل والصوان بأعين مفتوحة وصدور عارية. كل ما في تكوينهم من صفات نبيلة ايقظته هزة ريح ووضعته بوجه الخطر الداهم : النخوة ، النجدة ، المروءة ، البطولة ... رعدة خفيفة جعلتهم يبتسمون ، سرت في أبدانهم عندما تذكروا الذعر والفوضى اللذين انتشرا في عروقهم بعضا من الوقت . مرة اخرى طفح على وجوههم فرح عظيم . ولم يتمالكوا انفسهم فتبادلوا عبارات التهنئة .

ـ وغدا في باكر الصباح تنزح معاولنا ورفوشنا تلة الرمل والصوان الهزيلة .
ـ لن تستغرق اكثر من نصف ساعة ، ونرى وجه الارض تحتها ونوقد الكوانين .
ـ لماذا لا ننزحها الان ؟ هيا يا شباب .
ـ اجلسوا في اماكنكم ولا تكونوا انفعاليين .
ـ غدا نهدأ العاصفة . لماذا نتعب انفسنا بتلة هزيلة مسخ ؟.

رجل واحد فقط جلس على مبعدة من القوم وكان كئيبا : أبو درويش . استغرقه وجوم كئيب اعيا فرحة الجالسين . ومن يدري فلعل الفرحة نفسها ما أطلق في محياه حوافر الاسى ، محيا شبيه بسطح ماء عكر مضطرب .

لم يتلفت أحد اليه . واذ اتفقوا على موعد الصباح، رغم امتداد المعارضة ، انطلقت زغرودة نسوية ، اعقبتها صيحات مهللة وابتسامات . وانتصب الشاعر رافعا يديه امام صدره ، مهيئا شفتيه للكلام . قاطعته الصيحات المتجددة والاكف الملتهبة . واستمرت تقاطعه بيتا بعد بيت ، فيما راح يرتجل ويراقص الكلمات . اخيرا القى بقنبلة :

شرف الوثبة ان ترضى العلى غلب الواثب ام لم يغلب

فكأنه القاها في الحناجر والاكف . لم يكتفوا هذه المرة بالتهليل والتصفيق . نهضوا من مجالسهم ووقعوا عليها ، ثم نهضوا ووقعوا. « أعد ، أعد ، » صاحت الاصوات .

شرف الوثبة ان ترضى العلى غلب الواثب ام لم يغلب
ينطح الغيم شموخي فعلى جبهة الشمس بقايا مضربي

هذه المرة غطت الصيحات على صوت الشاعر . وساد هرج ومرج، وتبودلت انخاب الشاي . من بين الصيحات علا صوت واضح يقول:يجب ان يكتب هذان البيتان بماء الذهب ويعلقا على جدار الخيمة . وللحال اسرع الخطاطون للتنفيذ .

في تلك اللحظة عطس واحد ممن انقذوا الخيمة والاهل عطسة مثيرة.وقبل ان يعود الشاعر الى مجلسه عطس ثان من بين المدلكين. انتقل العطس من حنجرة الى اخرى حتى افرخ قلقا . التقت اعين الاطباء بصمت طويل . وتحول القلق الى تساؤلات .

ـ هل جاءتنا العاصفة بوباء ؟
ـ اهي تلة الرمل والصوان ما يجعلاننا نعطس ؟
ـ بل اطراف الخيمة . من تحتها يتسرب الرمل والصوان والريح.
ـ لماذا لم تجدنا الاعشاب شيئا ؟
ـ ما العمل اذا كان الوباء حقيقيا ؟

ثم صمتوا مثل من اكتشف حقيقة كانت مختبئة في ذهنه دون ان يراها . وهتف بعضهم بتذمر :

ـ قلنا من زمان ، يجب ان نبني بيتا من حجارة .
ـ بيت لا تهزه العاصفة .
ـ لا تأتينا منه الاوبئة . مجهز بمدافىء حديثة وجميع آلات الراحة والتسلية .
ـ بيت عصري .فيه آلات لضبط الحرارة ورصد الانواء . آلات تربطنا بالحضارة .

ورد كبار المنقذين : ـ صحيح . سنبدأ في ذلك قريبا .
ـ غدا بعد ازالة التلة ، نرسم خطة لبدء العمل .

وأقبل عليهم صمت مفاجىء كان اولى دلائل النعاس . بعضهم تمطى وتثاءب . أنهوا الشاي شربا ، وتركوا تراجيلهم .

خلال دقائق أوى الجميع الى أخبيتهم . سحبوا الستائر واحكموا الصاقها . لم يبق الا الحرس والعسس ، وقد انتشروا في ارجاء الخيمة وتوزعوا فيما بينهم الكوانين . لم يبتعدوا كثيرا عن مصادر دفئهم. وعمد بعضهم الى الكراسي الصغيرة فجلسوا ، وظل آخرون يتنقلون

واجهت الخرقين . لقد اطمأنوا الى اخبيتهم الان . لن يحدث لها ما حدث في الخرق الاول لاخبية تركها ساكنوها الى المرات والزوايا .

وصاح احد الشباب مطلقا زغرودة فرح وانتصار . تصايح الجميع. قفزوا في الهواء . هزوا سواعدهم وقبضاتهم . تحلقوا حول رقصتي الكرتون الجديدتين في رقصة جماعية تفور نشوة .

عندئذ بدأ ساكنو الخيمة يبتسمون . اقتربوا من الاحتفال بفضول صغير . مزيد من الطمأنينة دغدغ قلوبهم . شرعوا يصدقون الفرحة ويستقبلونها . لقد انزاح عنهم كابوس ثقيل . مرة اخرى طردت العاصفة خارج الخيمة . لم يعد ثمة ما يقلقهم فجعلوا يشاركون في الرقصة ويصفقون لها .

كان لا بد من كنس الرمل والصوان عن حدود الاخبية . وراحت ايديهم تشفط بالمكانس تلك الطبقة الرقيقة وتكدسها فوق التلة القديمة . ملأهم العمل حيوية وثقة . ودغدغ قلوبهم مزيد من الطمأنينة اثر انتهاء الكنس عادوا الى اخبيتهم . استلقوا على مجالسهم وألفهم الهدوء . منهم من تناول الغداء او نام ، ومنهم من انهمك في الحديث الحار . والاخرون بدأوا يستعدون لحفلات الليل .

وعاد الشباب الى النحت والحفر . الخيمة هادئة وساكنة . لكأن جو الصمت المقطوع بأصوات المطارق اطلق خيالاتهم فتفننوا في تشكيل الحجارة . نحتوها مستطيلة ومربعة ومكعبة ودائرة . قبيل الغروب ارتفعت اصوات الاحتجاج من الجهة الشمالية . قال بعض الشباب ان هذا التفنن مضيعة للجهد والوقت والحجارة . واصر اخرون على الاسلوب نفسه . أنشغلوا بالجدل والمماحكة . تصايحوا وشرحوا آراءهم . ثم عمدوا الى تطبيقها عمليا . وأجريت المقارنات بين الاسلوبين ليكتشف الطرفان ان كلا منهما مصر على رأيه ، مصمم على تنفيذه.

أقبل المساء والحجارة تتقطع دون جدوى . تضاءلت حجومها حتى فقدت قيمتها المعمارية . لم تجدهم تنبيهات فريق ثالث للزمن والجهد والحجارة الضائعة .

اخيرا اتفقوا على استشارة الجنوبيين . وقال هؤلاء : لقد بنينا جدارا طوله متران وارتفاعه متران ، وجداركم ما يزال مترا بمتر . ثم عقد اجتماع طويل ، وثان وثالث . اخيرا قرروا نحت الحجارة مستطيلة او مربعة ، والعمل على وصل الجدارين الصغيرين . قالوا ان التفنن في النحت يكسب البناء جمالا استثنائيا ، لكنهم ، والعاصفة اللئيمة تقرع خيمتهم كالمارد ، قرروا التضحية بالجمال حبا بالانجاز السريع. واعلنوا للناس نبأ مثيرا : لقد قرروا شراء عقل اليكتروني . قالوا ان العاصفة التي يواجهونها من نوع غير عادي . صحيح انها حاضرة دائما . غير انها تخرق الجدار ساعة يتلاشى اهتمامهم بها او تذكرهم لها . سوف يحضرون العقل الاليكتروني ، وسوف يدرسون متانة الجدران في كل بقعة ، وسوف يقيسون شدة العاصفة ، ثم يدفعون بالمعلومات الى جوف العقل فيخبرهم متى يتم الخرق . عندئذ سوف يحسبون للامر حسابا مسبقا . سوف يكونون جاهزين بالكرتون والعزقات والبزالات .

اذ ذاك صفق لهم الجمهور طويلا . علت الصيحات الدافئة محملة بالامل والفرح . امتطى ظهر الجدارين شابان ولوحا بايديهما. وعلى جدارين اخرين فعل الشيء نفسه ثالث ورابع . واستمر الهتاف والتصفيق حتى كاد ان يقطع سهرات الساهرين .

اخيرا شكلوا وفدا مهمته شراء عقل اليكتروني ، وارسلوه في الحال .

ثم انفضوا كل الى خبائه . بقي فرسان الجدران الاربعة .لامر ما أعجبهم البقاء في الاعالي . وطفقوا ينظرون الى الاخبية والساحة والناس ، وفد وقعت كلها تحت ابصارهم . ابتسموا وتمشوا على الجدران . نادوا فاحضرت لهم الوسائد والفرش والالحفة . وهناك استلقوا واغمضوا اعينهم .

تلاشى الضجيج وغمر الهدوء الخيمة . اقبل الليل . عاد صوت العاصفة الرتيب ينسحب على الآذان كاصوات الزيزان في حقول الصيف . كان أقل اثارة للانتباه من اصوات الضحك والموسيقى التي رفرفت حول اخبية السهر والسمر . اصوات غنوج متقطعة، متفاوتة النبرات ، ملصقة بوجه الزمن المسرع .

خرج الحرس الى محارسهم ، والقارئون الى مصاطبهم .من جديد اوقدوا الفوانيس . لم يكن لهم ان يرتاحوا هذه الليلة . الاصوات تقطع القراءة والنوم . الضحكات تحك مشاعر مستثيرة . لكن القارئين صمدوا وتابعوا دقائق واذا هم غائبون تماما عن لجيج الاخبية وضوضائها . عادوا الى ترنحاتهم القصيرة واكبابهم الطويل . وعادت اصابعهم تفرد حبات المسابح دون ان تعدها .

وحدهم الحراس قلقوا . عليهم ان يعرفوا كل شيء لئلا تفاجئهم الاحداث . وأنفذ رئيسهم سبعة يدورون بين الاخبية ويعودون بجدول دقيق عن نشاطاتها ، ليعرف كيف يوزعهم .

وذهب السبعة يطوفون في رحاب الخيمة .

بعد ربع ساعة عادوا ووقفوا امام رئيسهم .

وقرأ الاول : « حفلة تنكرية بمناسبة بلوغ محمد ابن الوجيه مرزوق العطاش عامه الحادي والعشرين يرافقها تحضير الارواح بالسلة والفنجان وتنويم مغناطيسي للشاب محمد العطاش . حفلة رافصة في معرض للاساور والاقراط والعقود مع نمرة نمر « تقدمها الرافصة منى سعد » .

وقرأ الثالث :« حفلة عشاء بمناسبة سفر فؤاد شاكر وضحوك رزق الى باريخ ، وستحمل العروس معها الخضار المفرومة والبرغل والزيت فضلا عن الكبة النية والمقلية والحلويات العربية للاحتفال بالحدث السعيد » .

وقرأ السادس : « مسابقة لانتقاء ملكة جمال الاخبية الجنوبية ابرز المشتركات فيها ارليت حداد وجليلة شرف الدين ونايلة بريدي وليديا خياط وخديجة عزام ،اما الجوائز فستكون مفاجأة للجميع وخاصة الملكة الفائزة .

حفلة يقيمها علي نورالدين بمناسبة مجيء طفله الثالث الذي اسماه ايهاب . عرض لمسائل طبية وقضائية واجتماعية ونفسية يشترك في تقديمه نادي الساعة الخامسة والعشرين » .

وقرأ السابع : « آخر جلسة لنادي الاشبال الرياضي الفني وسيتم فيها انتخاب الهيئة الادارية التي يؤكد انها ستفوز بالتزكية . ميادة سنجقدار تقيم حفلة وداع لعشيقها امير ابوكف وستعود بعدها لمتابعة عملها التربوي في معهد (أغراس الحرية) كمديرة ومدرسة ».

واشار القائد ان كفى :« لا شيء . حفلات ومناسبات لا طعم لها، اعتدنا عليها . لكن لا اريد ان ارى نائما منكم ولا واقفا ولاجالسا. بالامس حدثت جريمة قتل لانكم نمتم . نحن لنا صنعة هي القيام بالواجب » .

وغادرهم الى خبائه .

نظر الحراس بعضهم الى بعض ،ثم تناثروا في ارجاء الخيمة . بعد وقت قصير نامت الخيمة وحراسها . لم يبق الا القارئون والريح العاصفة . خبت اضواء القناديل . وسحت بدلا منها ذبالات الفوانيس . مرة اخرى بدت الخيمة مثل سماء مسحورة، غامضة كمجرة مغلقة كانون .

من خباء قرب منتصف الجدار الشرقي خرجت صبية تتلوى، تضع يدا حول بلعومها واخرى حول بطنها . سقطت باعياء . نهضت. تلوت. تجرجرت . سقطت على ركبتيها ورأسها . انطرحت على خاصرتها . استلقت على ظهرها . ارتمت يداها الى جانبها . همدت مفتوحة العينين .

من خباء ثان برزت امرأة وسط كتلة متموجة من النار . اندفعت يرعب الموت نحو ماء السبيل وأغرقت نفسها في بركته . بعد دقائق

طفت على سطح البركة جثة متفحمة .

من خباء ثالث اندفع رجل يعدو ممدود اليدين مستطير البدن . وراءه اندفع اربعة رجال يحملون المدى والمسدسات . بريق خاطف ومض وامحى . كبا الرجل ارضا ثم نهض . عند مدخل الخيمة ادركوه. بسرعة الريح ركع على قدميه . لف ذراعيه حول رأسه ورقبته . تكوم فوق بطنه وحجره . اذ ذاك انهالت عليه الطعنات والرصاصات الصامتة ، على رقبته ومنكبيه وخاصرتيه . ظل راكعا منكوما حتى انهار على الارض مشرع الصدر لمزيد من القتل .

من أخبية خلفية خرج عدد من الشيوخ . احدهم حمل على ظهره حزمة . توجهوا نحو الجدار الشمالي وطوفوه . بهدوء فتح الحزمة حاملها واخرج منها شبكة من حبال القنب . امسك الشيوخ بها . بهدوء رموها فوق الجدار . احدهم شد حبلها الرئيسي فانشدت بدهاء والتصقت بجسم الجدار بقسوة . حملوا الحزمة الى الجدار الجنوبي .أحدهم نظر الى الاعلى فوجد الشباب مستيقظا . ولوا الادبار.

من خباء في الوسط خرج رجل كهل يجر فتاة من شعرها . كلاهما صامتان . تقدما حتى ساحة الخيمة . دفع الكهل الفتاة بكلتا يديه . هوت الفتاة على صخرة . شج رأسها . صرخت صرخة مكتومة . انحنى الرجل فوقها . أمر على عنقها سكينا لامعة . صرخت صرخات مكتومة . تابع الرجل مهمته . شخب الدم كالنافورة . انهمر على الصخور . اخيرا سقط الرأس بين المقتطعات المتناثرة . رفس الرجل جسدها فانقلب على سرير من الحجارة . برز بطنها المتنفخ . من لا مكان اقبل رجال ملثمون . تلفتوا حولهم بحذر . دخلوا خباء وسط الخيمة . اثنان منهم خرجا برجل مكموم الفم . ربطاه بالحبال. اسقطاه ارضا . رفساه . خرج البافون يحملون صندوقا . تعاونوا على حمله اثنين اثنين . اختفوا .

رجل يرتدي عمامة وجلبابا هرول من اقصى الشرق . يده مضمومة على جراب منتفخ. عند اول الساحة تعثرت قدمه بحارس نائم .اختل توازنه . سقط الجراب وتناثرت قطع رنانة غزيرة . افاق الحراس على صوت القطع. امسك بالرجل . تفرس في ثيابه سحبه الى اقرب القارئين . تبادل مع القارىء كلاما . التفت الى الرجل . لطمه . نزع عمامته وجلبابه . اقتاده الى المركز .

صبي جاء الى لوحة بيضاء وعلق عليها صحيفة . وقف يقرأها: « حرام ارتداء النساء للثياب القصيرة لانها تظهر العورة . حرام ذهاب المرأة الى المزين لان رجلا اجنبيا يلامس شعرها . حرام ابداء المرأة زينتها لغير زوجها . حرام مشاركة المرأة في الاجتماعات العامة لانها تثير خبيث الغرائز .» ورجع الصبي الى مصطبة قريبة تبادل مع القارىء النظر والكلام وقفل عائدا الى خبائه .

من مكان ما ارتفع صوت المؤذن مهيبا خاشعا يدعو المؤمنين الى الصلاة . وسرعان ما تقاطر الناس الى جوانب الساحة . بعضهم قصد ماء السبيل فتوضأ وعاد الى الساحة . ومن مكان اخر علا رنين الاجراس عذبا صافيا .

أنهى المصلون صلواتهم . وعادوا الى الاخبية . الخيط الابيض ظهر الان واضحا خفرا . صاح ديك ونبح كلب . استيقظ الحراس فشدوا ثيابهم وتمطوا ثم شدوها ثانية . عثروا بالجثث فبدأوا يسجلون المخاضر . وقصدوا الاخبية للسؤال ورئيسهم للابلاغ .

مع شروق الشمس انشق مدخل الخيمة عن جسم هائل الحجم . تهزهز وهو يتقدم في الخيمة كعملاق ثمل . حوله تكاثف عدد من الشباب يدفعونه ويتدافعون معه . وسرعان ما أزيحت الحجارة ومقتطعاتها لتفسح مكانا للعقل الجديد .

تجمهر الناس والشباب مشدوهين فضوليين . احدهم لمح الجدار الشمالي فصرخ . ركض وآخرين الى الشاب المقيد على الجدار وفكوا قيوده . وجدوه ميتا .

عادوا يسألون العقل عن القاتل فلم يجب العقل . انتابهم قنوط اليم . توقفوا عن الحركة . بعض الناس سخر وبعضهم أشفق .

وصاح احدهم : ـ المعلومات المعلومات . اعطوا العقل المعلومات.

هيأوا المعلومات بسرعة وغزارة . كتبوها ودفعوا في جوف الآلة بصحيفة ضخمة ، ثم اداروا زرا . بعد ثوان سقطت بطاقة كرتون صغيرة في جرن صغير : جميع الشيوخ هم القتلة .

سرت بين الحشد همهمة ولفط . وارتفع الصوت فصار ضوضاء وضجيجا . اقتربوا من الآلة باعجاب ورهبة . عاينوها وداروا حولها. وظلت هي خرساء كتيمة معدومة الحواس . أحد الشباب دفع اليها بورقة تحمل معلومات ، لتخرج بعد ثوان بطاقة كرتون صغيرة : مستقبلها عظيم،قائد له شان خطير . عندئذ صدرت اصوات وصراخ وفحيح . ازداد الناس اقترابا فاضطر الشباب الى ضرب طوق حول الآلة ليمنعوهم من الوصول اليها . وبدأوا يمارسون تجربتهم المثيرة كل بدوره اسرع يكتب المعلومات عن حياته وامكاناته ويدفعها في جوف الآلة. يضغط على الزر وينتظر . وتخرج البطاقة حاملة صورة للمستقبل.

اشتدت الجلبة والتعليقات . وفي المرة الرابعة اعطت الآلة جوابا مخيفا : القتل بعد عمر قصير . وانتابت الشاب ذا المستقبل الاسود نوبة كآبة عنيفة . جلس على الارض بين سخرية زملائه واشفاقهم . جميعهم آمنوا بتبصير الآلة فآمنوا بمصيره المرتقب . اعتبروا نتائج اعمالها غير قابلة للنقاش . ههنا عقل يعمل بالارقام لا بالفراسة. ليس فنجان قهوة ولا راحة يد ، بل عقل رياضي لا أهواء له ولا حواس .

إمام هذه الواقعة عمد الشاب الى تنقيح المعلومات والارقام .وبعد حين عمدوا الى تحريفها ، ثم تزويرها . وجاءت النتائج باهرة :المستقبل المشرق ، النصر ، الرفعة ، السعادة ، الزوجة المخلصة الجميلة المطيعة النسل الكثير والعبقري ..

وراح كل منهم يستل بطاقته من جرن الآلة ويضعها في جيبه العلوي كثرت الابتسامات والتعليقات . كذلك كثرت البطاقات . وازداد الاطمئنان للمستقبل والثقة به . ازداد قرك الايدي واصوات الوحوحة. وضجت الجماهير طربا واعجابا.أخذت تطالب برؤية مستقبلها ومصيرها. إثر كل سقوط لبطاقة يرتفع منسوب التوتر والترقب، يرتفع الصياح والمطالبة .

اخيرا انتهى الشباب من عملهم . كل حمل بطاقته وانفرش على سرير من الطمانينة والفرح .وبدأدور الجمهور . اقترحوا التنظيم لتسهيل العملية . وسرعان ما توازى الناس صفوفا وانتظروا . صعد بعض الشباب على الجدران الحجرية . وبدأ العمل :

النتيجة الاولى : جاسوس يعمل لمصلحة المخابرات في خيمة اجنبية . مصيره الشنق حتى الموت .

النتيجة الثانية :مخلص ، رب عائلة ممتاز ،يكسب قوته بعرق جبينه ، وظيفة مجزية قريبا .

النتيجة الثالثة : ذكي، مرن ، يحسن التكيف واصلاح ذات البين. مركز قيادي هام .

النتيجة الرابعة : خائن ، كان سعيدا في الخرق الاول والثاني. مصيره الاعدام بالرصاص

النتيجة الخامسة : شارك في قتل الشاب على الجدار الشمالي. مصيره السجن المؤبد .

النتيجة السادسة : دؤوب على العمل ، قنوع ، خال من الاطماع. مستقبل حافل بالبنات والبنين .

النتيجة السابعة : معاد لنحت الحجارة وحفر الاساسات .يتكيف في المستقبل مع ضرورات الصمود بوجه العاصفة .

النتيجة الثامنة : امكانات ممتازة للعمل الحرفي . اختراع في المستقبل يحسن انتاج الحرير والاقمشة .

استمر العمل واستغرق وقتا طويلا . احد الشباب اقترح اعتقال الجواسيس والخونة واعداء النحت والحفر، فاعتقلوا . وفيما الاخرون منهمكون في رؤية المستقبل نصبت مشنقة ودق في الارض اسفين من

الخشب . شنق من يستحق الشنق ، وربط بالاسفين من يستحق الاعدام واعدم بالرصاص .

عند الظهر ،وفي قلب الحميا واصوات البشر والرصاص حدث المخرق الثالث . ثلاثة مواضع اخرى انفجرت من جدار الخيمة بدوي قاصف وهزيم مريع . تدفق الرمل والصوان كما لم يتدفق من قبل. ضربا الوجوه والاخبية والحجارة والجدران ولوحة ماء الذهب .تطايرت اثواب وعمائم ورفرفت شعور ، التفتت الاعين لتنصلب على الجدار الغربي والخروق الخمسة ، مأخوذة بالمفاجأة والذعر والسقوط .تلفتوا حولهم مثل من يبحث عن شيء غامض وبالغ الاهمية . هالهم ان يروا خيمتهم تعلو وتهبط . ومع كل ارتفاع يندفع سيل من الرمل والصوان ضاربا ارجلهم وسيقانهم مثلما يضرب سيل اخر رؤوسهم وصدورهم.

بعضهم سقط على الارض . وبعضهم مزقت الريح ثيابه وعرته . وبعضهم ظل واقفا . وبعضهم قتل . وبعضهم تعباه الذعر فانطلق يعدو بغير ما هدف . اطلقوا سيقانهم للريح . اصطدموا بالحجارة ومقتطعاتها فسقطوا وانجرحوا . اصطدموا بالستائر فقوضوا الاخبية. سقطوا في بركة السبيل . بالمصاطب . لكنهم لم يتوقفوا . ابتعدوا اولا ثم التقطوا انفاسهم ، ووقفوا يلهثون .

اذ ذاك بدأوا يفكرون . كل شيء الان في مهب الريح.خمس فجوات عراض في الجدار . سحب الرمل والصوان تنهمر على ابدانهم . رفع الكرتون اشلاء ممزقة . جسم الخيمة يعلو ويهبط كبالون مربوط . الاخبية تتساقط . لا بد ان الاوتاد تخلعت او تخلع بعضها وارتج البعض الاخر . حاولوا ان يتحركوا ، فاصطدموا من جديد بالاخبية وقطع الحجارة والجثث ثم توقفوا ثانية . كيف يتحركون ؟ الى اين؟ ما العمل ؟

تقاطر الكبار الى جدران الحجارة واجتمعوا . انتظر الناس نتيجة امرهم . لم يطل اجتماعهم . اعلنوا بيانا مقتضبا ، انفضوا : الصمود حتى تزول آثار العاصفة .

تلفت الناس حولهم في حيرة واستفهام . بحثوا عن ملجأ أومستتر.

دار الآداب تقدم

ملامح من الوجه الأنيق

للشاعر

محمد عفيفي مطر

صدر حديثا — الثمن ٢٠٠ ق.ل

دخلوا في اخبيتهم الباقية . استتروا بالحجارة وجمعوا حولهم نثراتها بالزوايا وبين الاخبية . غير ان العاصفة لم تترك لهم فرصة للطمأنينة . لقد لاذوا بشيء ما لكنهم لاذوا به متوجسين من الزمن المقبل . من تراه يخبرهم عن آخر وتد يتخلع تاركا خيمتهم للفضاء ؟من ترى يدلهم الى ما يفعلون ؟

ولفت انتباههم صوت يصيح في منتصف الساحة :« من حسن الطالع اننا لم نمت ولم تسقط الجدران الحجرية .» وعرفوا فيه احد المؤتمرين .قال : « نحن لم نحسن استخدام العقل الالكتروني .تشغلنا عن بناء الجدران ، بفك الغاز بلهاء ونمنا فوق الجدران » .

من فوق مصطبة بين اخبية صاح احد الرجال :« هذا عقاب الله. لقد المت بنا هذه المحنة واصابتنا هذه المصيبة لاننا لم نخلص في ايماننا ولم نتق عقيدتنا في سلوكنا ولم نطهر نياتنا في عملنا . ولو اننا تمسكنا بالعروة الوثقى والمبادىء الخالدة لما تشتت شملنا وتقوضت خيمتنا . اننا مهددون بالفناء » .

وصاح ثالث : « ان السبب في هذه الكارثة تقصيرنا في استعمال العقل الالكتروني . كان يجب ان نأخذ باسباب العلم . كان يجب ان نقتني موازين حرارة ومراصد جوية فنعرف متى تهب العاصفة ونستعد لها . هذه هي الحقيقة . وهذا هو الحل: العلم ، ولا حل آخر ».

وصاح احد الشباب :« السبب هو هذا الشعب الذي لا يفعل شيئا . تخرق العاصفة جدار خيمته وهو واقف يتفرج. ينتظر معجزة تهبط على العاصفة فتوقفها وتطردها . نابل . عشرون رجلا يحملون سياطا يسوقونها انى شاؤوا ».

وقاطعه احد الشباب : « بل نحن اهملنا الشعب » .

فقاطعه احد الشيو خ: « بل السبب انتم . الشباب الذين جعلتم خيمتنا مثل المقلع،مثل المقبرة. لو اهتممتم بالاوتاد فثبتموها،وبالجدران فدعمتموها لما حدث ما حدث . انتم السبب » .

وصاح رجل آخر : « نحن كلاب ، حشرات ، سائمة ، طوبى للبلاهة من الشرق الى الغرب » .

وصاح أحد الشباب :« نحن جميعا السبب . لم نفكر في العاصفة. كلنا » .

تعددت الصيحات وتقاطعت . انتشرت في الاخبية وبينها ، في الزوايا وفوق المصاطب . علت وتفاقمت فامتزجت بزمجرة العاصفة، واختلطت الكلمات بالرمل والصوان . وبين اللعنة والنكتة خرج المختبئون من مخابئهم ليقولوا كلمتهم . هم ايضا اختلطوا . استشهدوا بنتائج العقل الالكتروني لتبادل الاتهامات والادانات . وبلغت الاتهامات مدى لم تعد الكلمات فيه تتجاوز القول الى السمع .

وكان ثمة همس . وجوه شابة رصينة تتبادل كلمات قليلة، وهي هادئة ثابتة التقاطيع . ثم جلس الشباب على الارض وبدأ احدهم يكتب. بسرعة انتهت الكتابة . نهضوا . تقدموا من اللوحة والصقوا بيانا. احدهم اقترب وقرأ بصوت عال :

برنامج للعمل

١ ـ تثبيت الاوتاد .

٢ ـ الاستمرار في البناء بالاسمنت المسلح .

٣ ـ تنظيف الخيمة واحراق الجثث والنفايات في الخارج.

ونادى : « موافقون ؟ »فمدوا ايديهم وصنعوا منها جدارا .

وضربتهم الساعة موجة رمل وصوان فقتلت اثنين، لكنهم لم يبالوا .كل واحد منهم تناول شماخا فلف به رأسه وعنقه وفمه . وببساطة نهائية توزعوا الى ثلاثة اقسام : اولها خرج من باب الخيمة وثانيها عمد الى تلة الرمل والصوان فاجرى عليها ماء فيما شرع بعض افراده بصنع مداميك الخشب المزروعة بالحديد ، وثالثها هم بالجثث فجعل يخرجها ، وبالمكانس فبدأ بالخيمة من جميع اركانها .

دمشق — هاني الراهب